

## مؤسسات التعريب ومنجزاتها

### العقبات الحقيقية والمصطنعة في طريق التعريب

جدا مما لا يمكن أحصاؤه ، ولكن هل يكفي التفاخر بهم وبماضينا اللامع ونحن نعيش في ظلام وتفكك وتأخر ؟ هل يكفي قولنا : بأن اللغة التي لم نعجز عن الترجمة والاقتباس والخلق والابداع فسي القرون الوسطى ، لن تعجز اليوم عن ملاحقة العلوم ؟ هذا القول قد فانه أئزمن ، والتفاخر وحده لا يجدي بل يجب العمل كما عمل اجدادنا الكرام ، والعمل الفردي في هذا العصر ناقص ميتور ، فلا بد من التضافر ، لا بد من التأزر ، لا بد من توحيد المساعي لتتسابق خطواتنا مجتمعين .

ان عصرنا هذا عصر العلوم والتفنيات ، عصر الالاقوالذرة والالكترون فيجب ان نتجه هذا الاتجاه لنسجم مع التصور المعاصر ولا نشذ عنه . كان اكتشاف البخار ثورة فكرية جبارة غيرت كثيرا مسن المفاهيم . وحرفت طرق التجارة عن مساراتها وخلقت طورا صناعيا جديدا لم نستطع اللحاق به في ابانه ، فاهتبل القرب هذه الفرصة وسيطر على العالم واستفل بلادنا وخيرانا سنين طويلة ، وما كدنا نستيقظ لتنتخلص من برائنه حتى ظهر عصر الكهرباء، ولحق به عصر الالكترون .. وما زال كثر منا يعيشون بافكار القرن التاسع عشر ويعدون انفسهم متقدمين . وما زال كثير من حملة الشهادات العليا يجترون ما تعلموا في معاهدهم ولا يتتبعون التطور المتسارع ، فكانهم جمدوا في مواقفهم لا يحيرون حركة الزمن يتظاير بهم وهم لا يشعرون . بينما ارى على الجانب الاخر اجيالا جديدة تتحرق لاكتساب العلم الجديد وتتمنى لو تقحمت الزمن واحرقت المراحل للوصول الى اهدافها، ولكنها لا تعرف الطريق الصحيح ، فهي تتخبط خبط الاعشى ، يضرب هنا وهناك لعله يصيب هدفا ، وقليل ما يصيب .

لقد طلع علينا العصر الحاضر بكل هيله وهيلمانه ، ونحن لا نزال نرزع تحت وطاة استعمار وحشي غاشم ، وكاننا طفل امام عملاق . غير ان هذا الوضع لم يعثنا على اليأس والقنوط ، بل دفننا دفعا نحو اكتساب اي شيء وباي طريق وعلى اي وسيلة . ولنعد قليلا الى الوراء ، ولتقف عند مشارف القرن التاسع عشر ، ولتلق بنظرة عجل على الامة العربية انذاك ثم نسير ، فاماذا نرى ؟ الامبراطورية العثمانية تسيطر على الشرق الادنى كله وعلى جزء كبير من شرقى اوربا ، وتقود هذا العالم المتسع باسم الخلافة الاسلامية، وتقف اوربا الى الجانب الاخر تمس على هذه الامبراطورية المسلمة وتغاربها سرا وجهرا ، وتحاول تحطيمها بكل وسيلة . ولا بد هنا من الاعتراف بان العثمانيين لم يفعلوا شيئا لتقدم امبراطوريتهم او

قضيت خلال هذا الصيف قرابة شهرين في القاهرة ، مشاركا في ندوة علمية دعت اليها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، للنظر في المعاجم العلمية الستة التي وضعها مكتب تسييق التعريب في الرباط ، وهي : الكيمياء ، الفيزياء ، الرياضيات ، الجولوجيا ، الحيوان ، النبات . وقد عكف على دراسة كل معجم علماء متخصصون من البلاد العربية ، جلهم من كبار اساتذة الجامعات ، اعادوا النظر فيما اتفق عليه بمؤتمر الجزائر من مصطلحات ، وحققوها والقوا عليها النظرة الاخيرة قبل دفعها الى المطبعة لتخرج - باذن الله تعالى - معجما علميا متكامل للتعليم العام في البلاد العربية .

ولقد افدت من هذه التجربة كثيرا كما افدت قبلها من مؤنر الجزائر الذي انعقد في ديسمبر من العام الماضي ( ١٩٧٣ ) للنظر في توحيد المصطلحات العلمية ، هذا بالاضافة الى خبرة طويلة فسي الترجمة والتعريب ، اخرها بضع سنوات دسمة في المكتب الدانس لتسييق التعريب بالرباط بصفتي كبيرا للخبراء ومشاركيا في وضع المعاجم العلمية والانسانية ، وحصلت في اخر المطاف على اراء اخواني العلماء المتخصصين بندوة القاهرة ومؤنر الجزائر وما دارت حوله مناقشنا ، وادركت موضع الداء العميقي ، وساتر حفيمة ذلك كله امامكم بمنتهى الايجاز ، لتروا رأيكم وتقرروا بعد ذلك امرا وتضعوا خطة حكيمة لنفق على تنفيذها في الوض العربي بأجمعه ، ونوحسد جهودنا في الترجمة على اصول ثابتة نخدم بها الفكر العربي خدمة خالصة لا عوج فيها ولا امنا .

نحن لا نشك في ان القرب قد تقدمنا خلال العصر الحاضر تقدما واضحا جدا ، وان علينا - اذا اردنا اندخول في حومة الحضارة الحديثة - ان نتتبع خطاه ، ونمشي على اثاره ونفيد من تجاربه ونستخدم مخترعانه ومكتشفاته ، وان نستغل الزمن المتسارع بكل دقيقة من دقائقه لئلا تتسع الشقة ، بيننا وبينه مع الايام ، فلا نستطيع اللحاق به بعد ذلك ابدا . وان تكف عن التبعج بالماضي ، فقولنا : كنا وكنا ، لا يفيدنا شيئا . نعم كان لنا ماض مجيد ، وكانت لغتنا لغة الحضارة خلال القرون الوسطى ، لم تعجز عن ترجمة ما لم يكن لها به علم من قبل ، واثار علمائنا شاهدة بذلك يكفي ان نذكر منهم ال بختيشوع وابن ماسويه وحنين بن اسحاق والكندي والفارابي وعيسى بن يحيى وثابت بن قرة والرازي وابن سينا وجابر بن حيان والزهرراوي وابن جزلة وابن النفيس وابن زهر وابن رشد وابن الطيفيل وابن حزم ... وسواهم كثيرا

استنقاذها ، بل تقوّموا حول انفسهم وتركوا الدنيا حولهم تدور كما تهوى . اوربوا تتقدم علميا واقتصاديا وعسكريا ، وهم جامدون براوحوهم في امكانهم على ما كان اجدادهم ويصرخون بأعلى اصواتهم: « يا نشاهم جوق يشاء » ليعش ملكنا طويلا ، كأننا الامبراطورية كلها هي الملك وحده ؟ وجاءهم نابليون من اقصى القرب فهز امبراطوريتهم هزا عنيفا ، ومكّن انتصاره للهدا السياسي السائد في المحافل السياسية الاوروبية الذي يشبه هذه الامبراطورية بالرجل المريض ، ووقفت كل الدول المصرية تنتظر مونه لتتقاسم ارثه .

وهزم محمد علي باشا من بعده مرة ثانية، ودخل ابن زوجته ابراهيم باشا بجيوشه الى لب بلدهم ، وتوقف عند كوتاهية يشرف على عاصمتهم . ولولا اختلاف الدول الاوروبية يومذاك على تقسيم الامبراطورية العثمانية فيما بينهم ، ولولا ضغطهم على ابراهيم باشا وارغامه على التراجع ، لكان هو الوارث الوحيد لها ، ولبنى مكان الامبراطورية العثمانية المزعومة ، امبراطورية عربية يرأسها هذا البطل الليبي ابن زوجة محمد علي باشا الذي انتسب اليه اذ ربي في حجره ، واشتهر بانه ابنه . وكانت الحرب العالمية الاولى نائلة الانافي - وقد مهدت لها حروب البلقان وليبيا من قبل - وصحونا عام ١٩١٨ فاذا الدنيا غير الدنيا ، واذا الباندا شاه العظيم قزم محبوب فر قصر بلدز ، واذا البلاد العربية مجزأة منصمة ، بحكم الانكليز العراق والاردن وفلسطين ومصر وعدن وسيطرون على سواحل الجزيرة العربية كلها سيطرة مفساة بمعامهات مع مشائخها وامراتها ، اقل ما يقال فيها : انها ضحك على الذقون . . وبحكم الافرنسيون سوريا ولبنان وتونس والجزائر والمغرب وتحكم ايطاليا ليبيا ، وتحكم اسبانيا مراكز استراتيجية مهمة في المغرب مثل ميليا وسيتة والصحراء المغربية والساقية الحمراء وتحكم طنجة هيئة دولة من كل هؤلاء لكل دولة في ادارتها نصيب خاص ، واذا وعود لورانس هباء ومكلمهون كذاب وعصبة الامم لعبة في ايدي كبار الجرمين والقدارين والمسررب يقطمون اصبعهم ندما على وقوفهم الى جانب الحلفاء الخونة ( بريطانيا وفرنسا وامريكا ) .

لكن هل وف الف العرب مكتوفي الايدي امام هذه الفاجحة؟ هل استسلموا الى الياس والبغاء حسرة وعجزا؟ كلا ، فقد نفروا الى العمل في كل حومة وقاوموا بثورات دموية رائعة كانت مثلا في البطولة تسطر بحروف من ذهب ، وناوروا مناورات سياسية بارعة جدا تجحوا في بعضها واخفقوا في كثير لقوة اعدائهم وتكالبهم عليهم واتجهوا نحو التعلم يصبون منه عبا سريعا لينفذوا شعبهم من العجالة الطويلة التي ران عليهم ظلامها طوال العهد العثماني ، ووظف القادرون ينقلون الى اللغة العربية وما لقنوه في اقرب مجاهدين على كل جبهة لا يكون ولا يملون حتى انحسرت الحرب العالمية الثانية عن استقلال البلاد العربية متتالية ، وها نحن الان - بحمد الله - مستقلون في كل قطر ، فهل وصلنا الى ما نبتغيه ، وحططنا على الهدف الذي سرنا نحوه عصورا ؟

عفوك ايها السادة ، كان لا بد من هذا التمهيد التاريخي لنعرف اين نحن ؟

وماذا علينا ان نعمل ؟ وكيف نخطط لكي لا نضل السبيل . وانا لم آتكم بجديد وانما قرّبت الامر من ذاكرتكم تطبيقا لقول الله تعالى: « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » .

لنعد الى عهد البطل الليبي ابراهيم باشا، فقد تنبه الى ضعف الامبراطورية العثمانية وهالكها ، ووطن نفسه ليكون وريثها، وعرف ان عصره علم وتخطيط لا عصر كلام وتخطيط ، ان الرجل السياسي لا يبني دولة ، فعليه ان يعمل ، فكيف عمل ؟

انه هو الذي استحث والده الروحي محمد علي باشا على ارسال البعث الى اوربوا للدرس والتعليم ، وليكونوا نواة للدولة الناشئة .

وهو الذي رسم خطة التعريب التي سار عليها خلفاؤه من بعده ، فلما احتل الانكليز مصر عرفلوهما ثم منوها . ولو رجعنا الى عهد التعريب الخديوي لراينا مؤلفات عربية بعلوم عصرية كالتطب والصيدلة والنبات والفلك والجيولوجيا والفيزيا والكيمياء والميكانيك والهندسة والهيدروليك والعلوم العسكرية . . وسواها .

فلماذا لا نجد الان مثل هذه الهمة وعلى المستوى الذي نريد ؟ مع انا جننا بعدهم بقرن او يزيد ؟ .

لعلنا لو استقصينا الاسباب وحاولنا حصرها ، لما وجدناها خارجة عما يلي :

١ - فناء بعضنا بعجز اللغة العربية عن مساوقة العلوم المصرية ، واعتقادهم بانها لغة لم تخلق الا للشعر والادب والفناء .

٢ - عجز بعض البلاد العربية عن تعريب التعليم والادارة حتى اليوم بسبب تفشي اللغة الاجنبية التي كانت حكومتها مسيطرة عليهم .

٣ - واذا عربت بعض البلاد التعليم الابتدائي والثانوي ، فما زال التعليم الجامعي فيها بلغة اجنبية .

٤ - ارتباط المصالح المتبادلة ما بين بعض المتنفذين والدولة الاجنبية ارتباطا ماديا وثقافيا ، فقد نشاوا في ظلها وتعلموا بلغتها ، وهم بجهلون اللغة العربية او يكادون .

٥ - العمل الخارجي الحثيث ، والمخطط تخطيطا شيطانيا لاقناعنا بان سير العلوم الذي يكاد لا يصنق العقل مدى تسارعه ، لا يترك للغة العربية الجامعة مجالا لجابهة التطور العالمي حتى ولا امكانية ملاحقته . .

والجواب على ذلك سهل ميسور ، فلفتنا ليست لغة شعر وادب وحسب ، بل هي لغة علوم كذلك . والادلة عليها كثيرة موفورة تقتصر منها على ما يلي :

١ - حينما اضطر العرب الى الترجمة لجابهة حضارة لم يكونوا يعرفون عنها شيئا ، لانت لهم اللغة واعطتهم ما يشتهون فترجموا وعربوا الفلسفة والفيزياء والارطاطيقا والماطاطيقا والجومطريا وعلم الهيئة والطب . . ولم يقفوا عند حد .

٢ - وفي بدء عهد الدولة الخديوية في مصر ، ساروا على الخطة نفسها ، واسعقتهم اللغة بكل ما يريدون . وعندنا من آثارهم في العلوم المختلفة والطب والصيدلة والميكانيك والهيدروليك وسواها . . ما نقف امامه بكل احترام .

٣ - وفي فترة استقلال سورية عام ١٩١٨ وهي فترة لم تزده على عامين ، عربت الادارة كما عرب التعليم من ادنى درجاته حتى نهاية التحصيل العالي والجامعة ، ولم يتراجع السوريون عن تعريبهم حتى اليوم ، ولقد حضرت في العام الماضي درسا بالاكترن في الجامعة السورية بدمشق القاه استاذ شاب عرض فيه مصطلحات العلم مترجمة الى اللغة العربية ، مما ادهش زميلي مدير مكتب تنسيق التعريب - وكان رفيقي في هذه الزيارة - وزاده يقينا بقدرة لفتنا وليونتها .

٤ - الاعمال العلمية التي قمنا بها في مكتب تنسيق التعريب اذ وضعتنا معاجم علمية كثيرة ، منها التي عرضت في مؤتمر الجزائر وندوة القاهرة ، فوحدت واقرت صيغتها النهائية ، وستكون بين ايديكم بعد بضعة شهور . ومنها معاجم في : البترول والحقوق والادارة والاقتصاد والخرايط والهيدروليك وسواها . . وجميع مصطلحاتها باللغة العربية ترجمة او تعريبا لما في اللغة الانكليزية واللغة الفرنسية معا ، وجميع معاجمنا ثلاثية اللغات ولنا الامل ان نرفها الى خمس لغات حين نضيف عليها الروسية والالمانية .

٥ - الاعمال العلمية التي قام بها اساتذة الجامعات في سوريا العراق ومصر ، وسجلت في مؤلفات قيمة جدا ، هي موضع تقدير

العرب والاجانب على حد سواء .

٦ - الاف المصطلحات العلمية التي وضعتها المجامع اللغوية والعلمية في القاهرة ودمشق وبغداد . ومجلاتها القيمة شاهدة بذلك، بل ان في بعضها تحقيقات علمية جديدة تصحح كثيرا من المفاهيم السائدة في الغرب .

واما قول بعضهم بان العلوم العصرية يدخل عليها في كل يوم نحو خمسين مصطلحا جديدا ، وبان التطور يخلق كل يوم علما لا تعرفه اللغة العربية ، فالجواب عليه : باننا استطعنا في مكتبتنا - على ضعفه وفقره - ان نجابه هذا الوضع ، ونجحنا فيه الى حد بعيد جدا، ولو فسح لنا في العمل كما نشاء ، ورفعت من طريقتنا العقبات وازيحت المشطبات لاديننا خدمات اكبر ، ولساعدنا بمجهودنا المتواضع المجامع اللغوية التي لم تقصر هي كذلك في الترجمة والتعريب ولولا الروتين الدائر ، وحكمة الشيوخ المتأينة ، ومحاولة تحري اكبر ما يمكن من دقة ، لماشت جميعها سراع العصر الحاضر .

ايها السادة :

كنا وما زلنا ننقل عن الغرب ترجمة وتعريبا بصورة شخصية فردية ، يشعر احدنا بالحاجة الى الترجمة فيقوم بواجبه وحده مستهديا بهدي ضميره ، وقد يقع ان يترجم المصطلح العلمي عالم عربي آخر او استاذ في جامعة ، فينشأ للمصطلح العلمي الواحد ترجمتان او اكثر . وتنشأ مع هذه الفوضى لهجات علمية جديدة تشبه ما نحن فيه واقفون من اللهجات العامية المتباينة . ومن هنا كانت الدعوة الملحة التي يقوم بها مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي لتوحيد هذه المصطلحات وبسببها اقيم مؤتمر الجزائر ، ومن اجلها استندعت الندوة العلمية هذا الصيف . وقد اخذت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم خدمة هذه الفكرة على عاتقها وستدعو الى مؤتمرات كل عامين ، لتوحيد ما يجمعه مكتب تنسيق التعريب ، ونستطيع ان نطمئن بعد الان ، الى ان المصطلح العلمي قد اخذ سمته وعرف طريقه ، وسيكون للامة العربية كلها مصطلح موحد مقابل المصطلح الاجنبي .

نقد اكدت - ياسادتي - على المصطلح العلمي كثيرا واهملت ما سواه ، فما شأن التراجم الاخرى يا ترى ؟ وهل اذا كان عصرنا عصر علم وتقنيات ، يجب ان ينصب اهتمامنا عليها وحدها ، وان نهمل ما عداها ؟ كلا ، فالادب والفن شأنهما هين جدا اذا قيسا بالعلم ، ولقد اكثرنا من ترجمة الروايات والقصص والمسرحيات ونشرنا على العالم العربي كميات هائلة جدا من اثار ادباء العالم الكبار من كل لغة ، بل بلغنا فيها حد التخمّة ، ودخل علينا بسبب ذلك كثير من الكتب التافهة والالاخلاقية والمؤذية . ونحن لا نستطيع ان نفل آقلام الكتاب والصحفيين والنشئين والقصاصين والشعراء ونحصر حق الترجمة بهيئة معينة - حكومية او غير حكومية - كما تفعل بعض الدول التي تلتفي حرية الفكر ، ولا ندعو الى ذلك ، ولكننا نستطيع ان نجابه المشكله بأسلوب آخر ، يفسح المجال للمنافسة ويمنح الحرية للجميع بلا حدود ، وهو ان نؤسس هيئة علمية للترجمة في كل قطر عربي ونربط بينها بصلات وثيقة ونطلق يدها في اختيار ما يجب ان يترجم فيما بينها ، لكي لا تتعدد ترجمات الكتاب الواحد ، وتقوم هي بالترجمة او تكلف من ترى فيه القدرة على القيام بهذا العمل ، وتنتشر اعمالها مطبوعة طبعا انيقا متقنا ، وتعرضه في السوق رخيصا ، يجتذب القراء نحوها فيميلون الى الاصلح ويهملون ما عداه .

ولو رجعنا الى تاريخنا القريب لوجدنا شبيها بهذه الفكرة التي املتتها الحاجة الى النوق الرفيع والايمان بقيمة ما يجب ان يقدم الى القاريء العربي من زاد فكري سليم .  
ففي زمن محمد علي كانت هناك هيئة علمية للترجمة ، ولعل

الطهطاوي اول من ساهم في تقويتها وتدعيمها ، ثم ضعفت بعسده وتضاءلت بعد احتلال الانكليز مصر ، ثم أمحت نهائيا .

وتأسست في مصر بعد الحرب الكونية الاولى لجنة غير حكومية اطلقت على نفسها اسم : « لجنة التأليف والترجمة والنشر » . من اشهر اعضائها : طه حسين واحمد امين واحمد زكي وعبد الوهاب عزام واحمد حسن الزيات واسماعيل مظهر . . ونشرت انتاجها الادبي والعلمي فحازت ثقة القاريء العربي بدقتها واتقانها وحسن تخيرها للموضوعات المترجمة والمؤلفة .

وتأسست في سوريا حول عام ١٩٢٤ عصبة الادب ، تحمل الفكرة نفسها ، من اعضائها عمر ابو ريشة ، وسامي الكيالي واورخان ميسر وممدوح حقي ، ونشرت من اثارها كتابه الكشاف ودويان ابي ريشة والغريزة الجنسية ، ثم ادرکها ما ادرک لجنة التأليف والترجمة المصرية .

وقامت في دمشق قبيل الحرب الثانية جماعة التحصيل العالي ونشرت مبادئها وهي لا تخرج عن مبادئ عصبة الادب كثيرا ، فقضت عليها قوانين الحرب سريعا ولم تنجز عملا ذا قيمة .

وقام بعض الشباب الجامعيين في مصر بتأليف لجنة لترجمة الموسوعة الاسلامية ، وها قد مضى عليها نحو اربعين عاما ولم تترجم نصفها بينما أعيد طبعتها في اوروبا للمرة الثانية منقحة مزينة موضحة .

وظهرت في العراق محاولة شبيهة بها دعا اليها الشاعر الرصافي ، ولكنها لم تنجح ، وجدد الدكتور داود الجليلي الدعوة ، فاحسق .

واقامت في الاردن لجنة حكومية للتعريب والترجمة والنشر ، وما زالت نشيطة تعمل ، وصلتها بمكتبتنا وثيقة جدا .

وكذلك فعلت الحكومة السورية ، واكثر منشوراتها علمية قيمة ، ومثلها سلكت حكومة الكويت ، لكن اكثر منشوراتها ادبية .

ولم يظهر في الجزيرة العربية كلها ، ولا في الشمال العربي الافريقي حتى اليوم ما يشبه هذه الهيئات ، كل ما هنالك اعمال فردية او حكومية تنشر اعمالها من دون تخطيط ثم تصمحل .

وأراني اف احتراما واجلالا لعمل المجامع اللغوية الثلاثة :مجمع القاهرة ومجمع دمشق ومجمع بغداد ، وللمجامع العربية وبخاصة منها جامعة دمشق التي باشرت تدريسها بعيد الحرب الكونية الاولى باللغة العربية ، وما زالت مستمرة على ذلك حتى اليوم ، وترك كبار اساتذتها اثارا علمية جديرة بالتقدير ، نذكر منهم : القنواصي والخطاط وخاطر والكواكبي والقباني وحسني سيح ، وهو الان رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق ، ومع انه قد بلغ من العمر ما ينبغي لمثله ان يستريح فيه ، لكنه ما زال دابئا على التأليف والترجمة ، واخر اثر له : نقد وتصحيح لمعجم كبير فيل الطبي الفرنسي .

واذا كنا نقدر المجامع اللغوية والجامعات العربية اجمالا ، فيجب الا ننسى عمل المؤتمرات العلمية المتبادلة منذ نحو ثلاث قرن ، كالمؤتمرات الطبية والصيدلية والهندسية والقانونية والاقتصادية والمالية . . وسواها . تتناوب اجتماعاتها في مختلف العواصم العربية ويشهد كل عام عددا منها تسجل اعماله في ضبوطها ، ويفيد منه العلماء والمتخصصون بعد ذلك . ونحن في مكتبتنا افدنا من نتائج هذه المؤتمرات وصححنا كثيرا من المفاهيم والترجمات على ضوء بحوثها ومناقشاتنا وتقاريرها وتوصياتها .

وتمخضت الحرب العالمية الثانية عن احداث جسام ، هزت العالم العربي هزا عنيفا ، ودست في جنبه خنجرا مسموما هو ما يطلقون عليه اسم اسرائيل وتبليت الافكار وولدت احزاب متصعدة تحمل مبادئ متباينة تنفاوت ما بين أقصى اليمين الى أقصى اليسار،

وظهرت في الشرق الأدنى على اثر ذلك ، كتب يسارية بعضها معتدل وبعضها متطرف ، وترجمت جميع اثار ماركس وهيفل ولينين وماو .. تؤيدها وتساعد على نشرها دولة شرفية كبيرة ..

وظهر مقابلها في لبنان وفي مصر كتب يمينية عليها مسحة ادبية ما بين قصص ومسرحيات وتاريخ شخصيات وشعر .. تؤيدها وتنشرها هيئة موكلة عن حكومة غربية كبيرة كذلك ..

وتصارعت الآراء وتشوش الفكر العربي ونحير الجيل الناشئ وكيف يقرأ ؟ ولأن يقرأ ؟ .. وتبنت جامعة الدول العربية آتى هذا الوضع الشاذ ، فانشأت فيها مكتبا اسمته : « الادارة الثقافية » وكلفته بدراس النشاط الفكري العربي وتوجيهه توجيها عربيا حسنا ما امكن.

وما زالت الفكرة تتطور تطورا مستمرا حتى خلقت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وضمت اليها : الادارة الثقافية ، ومكتب تنسيق التعريب ، وجهاز محو الامية ، ومعهد الابحاث والدراسات العربية ومعهد المخطوطات .. واخذت تعقد الاجتماعات لتالو الاجتماع لبحث موضوعات فكرية وعربية شتى ، وتضع تقاريرها وتقدم توصياتها .

ولما عقدت حلقة الترجمة في الكويت اواخر العام الفائت ، نوقشت حركة الترجمة مناقشة صريحة جدا ، ونقدم كثير من ممثلي الحكومات العربية بآراء قيمة ، ولكنها جميعا لم تنظر الى ترجمه المصطلحات العلمية ، التي هي اساس التطور المعاصر ، وكانها تركت الامر لمكتب تنسيق التعريب المتخصص الوحيد في الوطن العربي بهذا الموضوع . والمكتب وحده لا يستطيع عمل شيء اذا لم يقف العلماء العرب الى جانبه يمدونه بالعون . والمساعدة التي نطلبها تلخص فيما يلي :

١ - ان تكون في كل قطر عربي كتلة من العلماء والاساتذة الجامعيين يتابعون التطور العلمي ويمدوننا بما استحدثت من مصطلحات جديدة بأي لغة ، وبما يقترحون لها من ترجمة ملائمة .

٢ - ونحن ننقل في كل قطر ما يبعث به ، وننسخه مع ما يأتي من الاقطار الاخرى ، ونضع فيه مشروع معجم نشره على العلماء لتتلقى اراءهم فيه نقدا واصلاحا ونسجل ذلك كله ، وننقح مشروعنا بالقدر المستطاع ، ثم نعقد ندوة من كبار المتخصصين من كل قطر لدراسته ، حتى اذا اشبعوه بحثا وتحقيقا وتصحيحا ، اعدنا تنسيقه من جديد ، وعرضناه على المؤتمر العربي الكبير ليكتسب شريعته .

٣ - وبعد موافقة المؤتمر عليه ، يصبح معجما شرعيا ، نطبعه طبعا انيقا صحيحا ونقدمه الى العالم العربي لتطبيق مصطلحاته الموحدة في جميع الاقطار على السواء .

لكن هل انتهت مهمتنا عند هذا الحد ؟ كلا ، لان العلوم في تطور مستمر ، ويدخل عليها في كل يوم نحو خمسين مصطلحا ، فعلى متابعة هذا التطور وملاحقة ما يستجد يوميا وتسجيله واعادة البحث فيه وتوحيد ترجمته باستمرار وادخاله في المعجم الجديد بالطريقة نفسها التي صنع بها المعجم المتقدم .

تلك هي احدى الصعاب التي تعانيتها ترجمة المصطلحات العلمية ، وهي عقبة يسهل تجاوزها بالداب والايمان . وهناك عقبات اخرى كثيرة نسردها بعضها فيما يلي :

١ - لا شك ان كثيرا من العلوم المعاصرة لم يكن العرب يعرفون عنها شيئا ، بل حتى الامم المتقدمة الحديثة لم تكن تعرفها قبل ولادتها ، ومع كل علم مصطلحات جديدة ، فكيف نضع لها مقابلاتها ، وليس في معاجمنا لها شبيه ؟ من أين نأتي بالراديو والتلفزيون والهيفرومتر والجيوفيزيا والجيومورفولوجيا والبيتروغراف والستراتيغراف .. وما مائلها ، وهي تصد بمئات الالاف ، ولم يكن احد في الكون يعرفها قبل خلقها في العصر الحاضر ، واحسرى الا يعرفها العرب ، والا توجد في معاجمنا حتما .

هناك طريقتان رئيسيتان نتبعهما دائما في صياغة المعاجم ، احدهما الترجمة والثانية التعريب . فاذا لم نودق بالترجمة الصحيحة الى مصطلح من كلمة واحدة ، وضعنا اثنتين ، اما بطريق الاضافة كقولنا لكلمه *amenophilous* هوائى التلقيح ، او بطريق الوصف كقولنا لكلمه *amenophilous* ساق شاذة . وحين نعجز عن الترجمة الصحيحة نعربه تعريبا ، وهو بأن نقربه من وزن صرفي معروف فنقول للتلفزيون مثلا ((تلفاز)) على وزن فعال ونكلمه *machine* مكيمة على وزن فعيله ، ونشتق منها بعد ذلك ما نشاء فنقول : تلفاز ينلفز ملفز متلفز .. الخ . واذا عسر علينا وضعه في وزن صرفي اخذناه كما هو فقلنا : رادار *radar* وكروماتيد *chromatid* وكيون .. ثم نشق منها ما يمكن ، فنقول مثلا من كيون : كونن يكونن مكونن مكونن *cutinised* ... واذا لم يسمعنا الاشتقاق ، عدنا الى الترجمة الجمالية .

٢ - قليلا ما نلجأ الى النحت فنقول : برمائي مثلا قياسا على ما قاله العرب : عشمي من عبدشمس ، وحضرمي من حضرموت ، وعبدلي من عبدالله ، وحملل من الحمد لله .. ولكننا نخشى ان نفتح الباب على مصراعيه فندخل علينا تراكيب مستقلة نحسن في غنى عن اختصارها بهذا النحت المستهجن ، ولا يدفعنا اليها الا حب الفليبد والمحاكاة .

٣ - ونشأ امامنا صعوبة جديدة هي المترادفات . فاللغة العربية من اغنى لغات العالم بالمترادف - وان كنا لا نؤمن بالمترادف المطلق على اطلاقه - لكن كثرة هذا المترادف ، ان اغنى لغة الادب والشعر ، فقد يخلق في العلوم فوضى ويسبب لبلة ، ان اهم ما ينبغي للعلم هو دقة التعبير ، بحيث اذا لفظنا المصطلح لا يتصرف اى سواه ، ولو بالنشبيه ، والمترادف لا دقة علمية فيه ، فكيف نقول في الالفاظ التالية مثلا :

Calamiduos : غلافي أم غمدي ؟

Chromosome deficirency : نقص صبغي أم قصر صبغي ؟

Curved : منح أم مقوس أم ملتو أم معوج ؟

Dormante stage : طور السكون أم طور السبات أم

النعاس أم النوم أم الرقاد ؟

Energy Liberation : تحرير الطاقة أم اطلاق الطاقة ؟

Early flowter : زهرة مبكار أم يكور أم معجال أم

عجول أم متبادرة أم بادرة ؟

Paleobotany : علم الحفريات النباتية أم الاحافير أم

المتحجرات أم علم الاحاة ؟

Herbivor : نباتي أم عاشب ؟

Fragile : هش أم قصف أم كسور أم عطوب أم

هشوم ؟ وماذا نعطي لكلمتي :

Ecrasable - Cassant

Frogment : كسرة أم فتية أم قطعة أم جزء

أم شظية ؟

Hibernation : بيات شتوي أم خمود أم رقاد أم

سبات أم نوم ؟

ومثل ذلك كثير جدا وانما مثلت بهذا العدد القليل لتقريب الفكرة ، على اننا قد نعيد احيانا من بعض المترادفات ، وبخاصة اذا كانت تشير الى وصف معين ، فنحدها تحديدا استعماليا جديدا يضعها في مكانها من التعامل العلمي ، وبهذا نحاول التفريق بين : السيولة والميوعة . اللدونة والليونة والرؤنة . السد والسند . الافراز والابراز والاخراج . العمومي والعام .. الخ ، ومثل هذا عدد وفير ، لكن من هو صاحب الحق الشرعي في وضع ذلك كله وتحديده ؟ .

٤ - ومشكلة الوحدات والمقاييس والرموز والأرقام الحسابية والجبرية لم تحل بعد .

كان اجدادنا يعرفون الفمحة والدرهم للوزن الخفيف التميز كالذهب والفضة والحجارة الكريمة . ويعرفون الأوقية والرتل والقنطار للوزن الثقيل ، ويعرفون الذراع والباع والمرحلة والميل للاطوال والمسافات ، ويعرفون الصاع والمد والفراة للكيل . . لكن كل هذه الوحدات والمقاييس غير دقيقة ، فما وزن الفمحة مثلا ، وما عرض الشعرة وكم هي الأوقية والرتل ؟ وما طول الذراع والميل ؟ وما الفرق بين الذراع الهاشمي والذراع العادي ؟ .. الخ .

كان كل بلد يستخدم مقياسا خاصا به ، فالرتل في مصر مثلا صغير جدا اذا قيس برطل الشام الذي يزن ٨٠٠ درهم او رطل حلب الذي يزن ١٠٠٠ درهم . وتنسحب هذه الفوضى على كل مقاييسنا القديمة ، فلما حل المقياس المتري محلها وانتشر في البلاد العربية المتقدمة ، تعاربت المفاهيم ، لكن ما زالت هناك وحدات ومقاييس اخرى سواها ، ان لم تبلغ الالاف فهي حتما بضع مئات ، كيف نحل مشكلتها؟ كومات الوقت والزمن والسرعة والشدة والشغل والعزم والتردد والمقاومة والكثافة وطول الموجة والانحراف والاحتكاك والزوجة والصوت والاضاءة والالكترون والكهرباء .. فهذه كلها كيف ترجمها ؟ .

٥ - ومشكلة الرموز الكيماوية والرياضية والفيزيائية والكهربائية والالكترونية وما شابهها كيف نجد طريقا لحلها .

٦ - واذا انتهينا من مشاكل الترجمة والتعريب ، نجد انفسنا في موقف اخر تجابهنا فيه الطبعة بالحرف المشكول والحرف العاري والحرف الراكب والحرف المسطح .. ومشاكل طباعية كثيرة بحثتها الندوة التي عقدتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم واخر عام ١٩٧١ وانتهت منها الى توصيات نرجو لها حسن التطبيق لان الحرف هو الوسيلة التي تشكل بها الكلمات للتفاهم بين الناس ، فاذا كانت هناك صعاب طباعية قائمة ، تلكا الحديث المتبادل ما بين العالم والمتعلم ، وتباطأ التفاهم وعسرت الاستفادة والإفادة وخدمة الفكر .

٧ - يقولون : ان في اللغات الاوروبية سوابق ثابتة على الكلمة ، ولواحق قارة تساعد على التصريف وتقليب المعاني .. وليس في العربية ما يشبهها ، ولذلك لا يمكن ان تكون وسيلة سهلة للعلم . ونسي هؤلاء الشعوب ان تناسبوا ان لكل لغة عبرتها الخاصة في الصياغة والتصريف وابتداع الصور المختلفة للمعاني المتباينة واذا لم يكن للعربية هذه السوابق واللواحق فلديها مئات الاساليب الاستغرافية مما يفتقر اليه سواها . وما قول هؤلاء الشعوبيين باللغات التي كانت مية فاحياها اهلها في برهة عقدتين من السنين او ثلاثة ، وهي الان تتعامل اداريا وتدرس كل العلوم بلغتها الفومية كالفيثاغورية والكورية والبرانية .. فهل تكون العربية اقل منها ؟ .

واذا كانت هيئة الامم قد اعترفت بالعربية لغة خاصة في التعامل الدولي ، افنكون اقل حماسة للفتنا من الغريب ؟ .

٨ - تلك هي اهم مشاكل الترجمة تناولتها من الداخل ، واخرت عن عمد المشكلة الخارجية الكبرى لارتكز عليها .

نحن نعمل ونجد ونترجم ونضع المعاجم ونوزعها على العالم العربي بقصد استخدامها والإفادة منها ، فاذا بقي التعليم بلغة اجنبية ، وبقيت الادارات تمارس اتصالاتها وانظمتها بلغة غير لغة الشعب ، فما هي الفائدة من كل هذا العمل ؟ ولماذا اجتمعنا نحن هنا ؟ الاجل ان ننظر في ترجمة شكسبير ودانته وغوته ولودفيغ وريلكه ولامارتين وكافكا .. ؟ دعوا الادب يسير في طريقه وحده فهو كليل بالتهوض على قدميه من دون هذا التدخل ، ولترتكز على الترجمة العلمية ، لننقل

ما وصل اليه الغرب من علوم بها طفى علينا وحطمتنا واستعمرنا ، تعالوا نستعمل سلاحه نفسه لكي نعرف كيف ندافع عن انفسنا ونحمي كياننا وننطلق مع انحصاره لتحديثه بكل كيانها . الشعوب الزراعية دائما في الدرجة الثانية ، والشعوب الصناعية دائما في الدرجة الاولى ، ان الشعب الذي لا يعرف كيف يدير الالة ويسخر الكهرباء ويطوع الالكترون ، ويقف عاجزا امام التقدم الحضاري ويستعير مظاهر المدنية استعارة .. شعب مقضي عليه بالجمود والتأخر .

ولا يعيننا ان نأخذ العلم عن سوانا مهما كان شأنه ، نستفيد من الصديق وانعدو ، ونسعى الى مبتكرات العلم في اقصي الارض ، او لم يأخذ الغرب عنا علومه وفلسفته حينما هم بالتهوض ؟ . هم انفسهم قالوا بان حضارتهم الحديثة مدينة لعرب . اسمعوا اقوال عظمائهم :

نال جورج سارون مؤلف « تاريخ العالم » : « كان العرب اعظم معلمين في العالم ، زادوا على العلوم انني نقلوها عن غيرهم ، ولولا عملهم لتأخر سير المدينة قرونا عديدة » .

وقال نيكلسون : « ما المكتشفات اليوم بحسوبة شيئا مذكورا ازاء ما نحن مدينون به للعرب الرواد الذين كانوا مشغلا وضاء اiban القرون الوسطى المظلمة في اوروبا » .

وقال اكثر مؤرخي العلم من الاجانب : « ان الحضارة الانسانية مدينة للعلماء العرب في كل فرع من فروع المعرفة وانه كان لا بد من ظهور ابن الهيثم والبيروني والكندي وامثالهم لكي يتسنى لظهور جاليليو وكوبرنيك . وانه لولا اعمال العرب ، لاضطر علماء النهضة الاوروبية للبدء من حيث بدأ هؤلاء ، ولأخسر سير المدنية عدة قرون » .

وكذلك قال كليردوفو وسيد يوزل ونيو برجر ولكرك مؤرخ الطب العربي وجرمان وبراترام وهومبولد وبيتر باخمان وغوستاف لوبون ... وكثير غيرهم .

قال عبدالحليم المنتصر رئيس اتحاد الجمعيات العلمية في العالم العربي تعليقا على ذلك : اذكر انني شاهدت في سقف مكتبة الكونكرس الامريكية ، منقوشا بماء الذهب : ان مصر هي ائنبوع الاول للحضارات جميعا ، وان العصر العربي الاسلامي هو الينبوع الاول للعلوم الطبيعية فتشعرت بالزهسو ان اكون سليل هاتين الحضارتين وورث هاتين الشائفتين .

وانا نفسي جمعت من المعجم الفرنسي وحده بضعه الاف كلمة عربية ، اخذوا بعضها من اللغة الفصحى كالمبيق والفول والالفاء والابجدية والبرقوق والنكويم والطبيب ودر الصناعة .. واخذوا بعضه الاخر من العامية السائدة كالافندي والاغا والعيش وكلمة بزاف المغربية ( وهي بمعنى كثير ) . وتصرفوا ببعض الاسماء المشهورة تصرفا ليس فيه ذوق فقالوا افسين لابن سين ، وفروبس لابن رشد ، وسلادان لصلاح الدين . وابدل لعبدالله ، بينما حافظ العرب قديما على النطق الاصيل في الترجمة فقالوا : ارطباطيقا وفزيقا وجيسومطريقا .

ونحن في هذا العصر نقول : بتروغرافيا وستراتيغرافيا ولونا .. واذا لم يكن لبعض الحروف الاجنبية مقابل عربي مثل V.G.P. فانا نقرها بقدر الامكان من حرف شبيه ، ولهذا عدل عن اليبابيات الى اليزايت مثلا . وقد وضع المجمع اللغوي بعض القواعد لذلك ، نرجو ان تنشر وتطبق . ولقننا كربة معطاة تساعدنا على الترجمة الدقيقة ، والشعب الذي لا يستخدم لغته الفومية في التعليم وفي الادارة ، شعب مستعبد ثقافيا لسواه ، وشهامتنا العربية تآبى لسان مذلة الجهل ، وديننا يامرنا بالعلم وبالعمل : « هل يستوي الذين يعملون والذين لا يعملون » ؟ والارض يرثها عبدالله الصالحون لاعمارها والحياة فيها . « قل اعلموا فسيري الله عملكم » .